شرح

القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى

محمد بن صالح العثيمين

– رحمه الله تعالىٰ –

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[الشريط العاشر]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمـــٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصـــحابه أجمعين.

أما بعد؛ بدأنا في القواعد المتعلِّقة بأدلة الأسماء والصفات، وكانت القاعدة الأولىٰ عن أن أسماء الله وصفاته إنّما تُثبت بالكتاب والسنة، كما مرّ علينا قول الإمام أحمد رحمه الله: "نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نتجاوز القـــرآن والحـــديث." ولهـــٰذا قاعدة أهل السنة في الاستدلال وفي إثبات الصفات التعويل علىٰ كتاب الله وسنة رسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فما أُثبت فيهما أثبتوه، وما نُفي فيهما نفوه، لا يتجاوزون كتاب الله وسنة نبيه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نفيًا أو إثباتًا.

ولهـــٰذا يقول الأوزاعي -رحمه الله-: ندور مع السّنّة حيث دارت. يعني إن أثبت فيها أثبتنا، وإن نفي فيها نفينا، فشأننا في الاستدلال والتلقي أن ندور مع كتاب الله وسنة نبيه -صَـــلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفي باب الصّفات ما أُثبت في كتاب الله وسنة نبيّه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مـــن الصفات نثبته، وما نُفي فيهما ننفيه، ونترّه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عنه كما نزّه نفسه عنه، وقـــد تكلّم الشّيخ -رحمه الله- عن هـــٰذا الأمر تحت هـــٰذه القاعدة، وذكر ما يتعلق بمـــا أُثبـــت في الكتاب والسنة، ومثَّل عليه بجملة من الأمثلة مثل: الوجه والعين واليدين والكلام والرضا والحبة والغضب.

ثم تكلم عما نُفي في الكتاب والسنة، ومثّل عليه بالموت والنّوم والسّنة والعجز ونحوها.

ثم ذكر القسم الثالث، وهو ما لم يرد إثباته ولا نفيه في الكتاب والسنة؛ ما الطريقة التي تكون مع هـــٰذا النوع؟

المثبت الطريقة معه أن يثبت.

والمنفي الطريقة معه أن ينفىٰ.

وهـــٰذا النّوع الذي لم يرد إثباته ولا نفيه فطيف يكون التعامل مع هـــٰذا النوع، هـــٰذا الذي سيبينه الشيخ -رحمه الله- هنا تحت هـــٰذه القاعدة.

[المتن]

٣- ومّما لم يَرِد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة). فلو سأل سائل: هل ثبت لله تعالىٰ جهة ؟ قلنا

له: لفظ (الجهة) لم يَرِد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أنّ الله تعالىٰ في السماء.

وأما معناه: فإما أن يُراد به جهة سفل أو جهة تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل لمنافاته لعلو الله –تعالىٰ– الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضا لأن الله –تعالىٰ– أعظم من أن يحيط به شيءٌ من مخلوقاته.

والثالث حق؛ لأن الله –تعالىٰ– العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

[الشرح]

هنا تكلّم الشيخ –رحمه الله– عن نوع من الألفاظ لم يرد في القرآن أو السنة في شأنها لا إثبات ولا نفي، لم تثبت ولم تنف، ألفاظ لم ترد في القرآن والسنة لا مثبتة ولا منفية، قد عرفنا ما ينبغي تجاه ما أثبت من ألفاظ في الكتاب والسنة، وأيضا تجاه ما نُفي، فكيف يكون الأمر مع هٰذه الألفاظ التي يتحدّث عنها المصنف تحت هٰذا القسم، وهي الألفاظ التي لم تُثبت ولم تنف، مثل ما ذكر الشيخ مثال علىٰ ذلك: الجهة، كذلك: الحيِّز، والمكان، وألفاظ كثيرة جدا لا تجدها في القرآن مثبتة في حق الله، ولا أيضا تجدها منفية عنه، فكيف يكون التّعامل مع هٰذه الألفاظ؟

والقاعدة الكُلّية في هٰذا الباب أننا لا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ننفي إلا ما نفاه الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهٰذا أمر ثالث؛ يعني لم يرد إثباته ولم يرد نفيه فهل نثبته أو ننفيه أو نسكت عنه؟ كيف نتعامل مع هٰذا النوع من الألفاظ؟

هٰذا باب مهم، وأهميته من هٰذه الجهة التي أشرت إليها، ومن جهة أنّ المتكلمين اتكؤوا علىٰ مثل هٰذه الألفاظ لتعطيل صفات الرّب، وجحد نعوت كماله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ– التي دل عليها كتابه وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل لم يقف الأمر عندهم إلىٰ هٰذا الحد حتىٰ جعلوا هٰذه الألفاظ قواعد يردّون بها ما ثبت لله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– من الصفات.

الحيز والجهة والمكان.. وألفاظ أخرىٰ من هٰذا القبيل جعلها هؤلاء متكأً لهم لرد صفات الله –عز وجل– وعدم إثباتها.

الشاهد: كيف يكون موقف صاحب السنة من هٰذه الألفاظ؟ وهي ألفاظ مجملة، وألفاظ

محتملة؛ تحتمل حقا وتحتمل باطلا، فكيف يكون التعامل معها؟ إن أثبتت علىٰ وجه الإطلاق تضمن إثباتها علىٰ وجه الإطلاق الباطل الذي تحتمله، وإن نفيت علىٰ وجه الإطلاق، تضمن هٰذا النفي نفي الحق الذي تحتمله.

ثم هي -من حيث هي- ألفاظ غير ثابتة في الكتاب والسنة، فهل يناسب أو يليق أن تُستعمل ابتداءً لإثبات الصفات لله -جل وعلا-؟ هٰذه تساؤلات بين يدي بيان هٰذا الموضوع، والمقصود من هٰذه التساؤلات أن ننتبه إلىٰ الأمر، وإلىٰ هٰذه الألفاظ، وأيضا الموقف الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه صاحب السنة تجاهها.

في طريقة تعامل أهل السنة مع هٰذه الألفاظ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كلمة مختصرة لا تبلغ نصف سطر، إلا أنها في غاية الجمال وتحرير القول في هٰذا المقام: **يوقف اللفظ ويفسّر المعنىٰ**. هٰذه كلمة جميلة جدّا، **يوقف اللفظ ويفسر المعنىٰ**؛ يعني هٰذه الطريقة التي نتعامل بها مع هٰذه الألفاظ المجملة، اللفظ يوقف والمعنىٰ يفسر، كيف يكون هٰذا؟

لو قال لك قائل: هل الله في جهة؟ كلمة (جهة) هل جاءت مثبتة لله؟ وهل جاءت منفية؟

الجواب: لا، لم تأت مثبتة، ولم تأت كذلك منفية، فإذا قال لك قائل: هل الله في جهة، أنت تدرك أن هٰذه اللفظ لفظة (جهة) لا وجود لها في القرآن لا علىٰ وجه الإثبات ولا علىٰ وجه النفي، فاللفظ يوقف، ومعنىٰ يوقف أنا لا نستعمله في باب الصفات لا في الإثبات ولا في النفي، ولهٰذا لا ترىٰ إطلاقا في كتب السلف وكتب أهل السنة المتقدمين منهم والمتأخرين حتىٰ زماننا هٰذا لا ترىٰ في باب الصفات وتقرير الصفات من يستعمل هٰذه الألفاظ؛ لا في الإثبات ولا في النفي، لا تجد من يقول في كتب أهل السنة: الله في جهة، ولا تجد -أيضا- من يقول: ليس في جهة، ولا لفظ الحيز ولا غيرها من هٰذه الألفاظ المجملة، لا يستعملونها. فاللفظ عندهم موقف ممنوع؛ لأنّ باب الصفات توقيفي، وإنما يُثبت منه ما ثبت في الكتاب والسنة، وينفىٰ منه ما نُفي في الكتاب والسنة لا يتجاوزون القرآن والحديث، وطريقة أهل السنة مباركة، تراها فيكتبهم، يقول: باب في إثبات اليدين لله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[ص:٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[المائدة:٦٤]. باب إثبات الغضب لله، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾[الفتح:٦]. باب إثبات السمع لله قال الله تعالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)**﴾[المائدة:٧٦]، ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾[المجادلة:٠١]،

وعلىٰ هـٰذا المنوال في الإثبات والنفي، في كتب السلف المتقدمين والمتأخرين.

أما هـٰذه الألفاظ لا تراها عندهم، لماذا؟ لأن اللفظ موقف.

فإن سألك سائل: ما الواجب تُجاه هـٰذه الألفاظ نثبتها أو ننفيها، تبين له ابتداء أن هـٰذه الألفاظ لا تستعمل، من يريد أن يثبت لله ما يليق به أو ينفي عنه ما لا يليق به، ففي الكتاب والسنة غُنية، ما في الكتاب والسنة يغنينا عن هـٰذه الألفاظ، من يريد يثبت لله صفات الكمال أو ينفي ما يليق به من النقائص والعيوب ففي الكتاب والسنة غُنية. وإذا أصرّ علىٰ معرفة الموقف من هـٰذه الألفاظ، عرفنا أن ابتداء ما ننشئ في باب الاعتقاد الكلام علىٰ هـٰذه الألفاظ؛ لكن إن سأل سائل قال: هل الله في جهة؟ أو هل الله في حيِّز؟ أو هل الله في مكان؟ بيننا له أولا هـٰذه الألفاظ موقفة وليست مستعملة عند أهل السنة، وإنما يقفون في هـٰذا الباب علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، ويفسر المعنىٰ يقال له: ماذا تريد بالجهة؟ هنا لاحظ أن تفسير المعنىٰ لابد منه في هـٰذا الجواب، لما في هـٰذه الألفاظ من الإجمال والاحتمال، فهي ألفاظ مجملة وكلمات محتملة تحتمل معنىٰ حقا وتحتمل معنىٰ باطلا، ولهـٰذا لا يناسب في الجواب عليها إلا التفصيل، أما إن قلت في الجواب عليها: نعم هو في جهة، فكلمة (هو في جهة) تحتمل معنىٰ لا يليق بالله، وقد لا تريده أنت بإثباتك للفظ؛ لكن اللفظ من حيث هو يحتمل، وإن قلت: لا؛ ليس في جهة، أيضا هـٰذا النفي يحتمل معنىٰ باطل، وهو نفي علو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ خلقه.

إذن لابد من التفسير -تفسير المعنىٰ-، إذا قال لك: هل الله في جهة؟ وأوضحت له أن هـٰذه الألفاظ ليست مستعملة، تقول له: ماذا تريد بالجهة؟ و(الجهة) تحتمل معاني عديدة، أتريد كذا؟ أتريد كذا؟ فالحق يُثبت والباطل يُنفىٰ.

ولنتأمّل بيان الشيخ قال رحمه الله: **(فلو سأل سائل)** هـٰذه خذها فائدة من الشيخ **(فلو سأل سائل)** ماذا تفيدك؟ تفيدك أن هـٰذه الكلمة لا تستعمل أهل السنة في باب التّقرير، لا وجود لها، وإنما يأتي الحديث عنها متى؟ إن أحد سأل عن مثل هـٰذه الألفاظ أجيب، وإلا ابتداء فكما أشرت ما جاء في الكتاب والسنة كفاية وغنية.

قال: (**فلو سأل سائل: هل ثبت لله تعالىٰ جهة؟ قلنا له: لفظ (الجهة) لم يَرِد في الكتاب والسنة إثباتًا ولا نفيًا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أنّ الله -تعالىٰ- في السماء.**) هـٰذا هو

الجواب، يُغني عنه ما ثبت في الكتاب والسنة، نقول: الله في العلو، نقول: الله في السّماء، نقول: الله مستو علىٰ عرشه، نأتي بالألفاظ الثابتة في الكتاب والسنة التي لا تحتمل إلا الحق، لا تحتمل أيّ باطل، فنثبتها لله -جلّ وعلا-، وتأمّل قول الشّيخ -رحمه الله-: (**ويُغني عنه**) ففي الكتاب والسنة غُنية وكفاية.

قال: (**وأما معناه**) ثم بدأ يفصِّل الشيخ، وهٰذا مراد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يوقف اللفظ. الشيخ الآن ماذا فعل باللفظ؟ أوقفه، قال: في الكتاب والسنة غنية عن هٰذه الألفاظ، نقول: الله في السماء. نقول: الله مستو علىٰ عرشه، أوقف اللفظ. ثم قال: (**وأما معناه**) هٰذا ما هو؟ تفسير المعنىٰ، فشيخ الإسلام هٰذا الأمر أو هٰذا العمل لخّصه في الكلمة التي أسلفتُ لكم: يوقف اللفظ ويفسر المعنىٰ.

الشيخ يقول في تفسير المعنىٰ: (**وأما معناه: فإمّا أن يُراد به جهة سُفل أو جهة تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.**) هٰذه كلها تحتملها كلمة (الجهة):

تحتمل جهة السفل.

وتحتمل جهة علو بالله وتحيط به وتحده.

وتحتمل جهة لا تحيط به، وهو العلو المطلق علوه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- فوق خلقه، واستواؤه علىٰ عرشه.

فكلمة جهة تحتمل كل هٰذا، وإذا كانت تحتمل كل هٰذا، إن قلت: ابتداءً الله في جهة، فإنها تتضمّن إثبات هٰذه المعاني التي يترّه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عنها، وإن نفيت نفيك يتضمن نفي المعنىٰ الحق الذي تتضمّنه.

إذن لابد أن تفصّل فتقول له: ماذا تريد بالجهة؟ فالجهة تحتمل جهة السّفل، وتحتمل جهة علو تحيط بالله، وتحتمل جهة علو لا تحيط به، أيّ هٰذه المعاني تريد؟ (**فالأول**) الذي هو السّفل (**باطل**) لماذا؟ قال: (**لمنافاته لعلوّ الله -تعالىٰ- الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.**) علو الله ثابت بهٰذه أنواع الأدلة الخمسة، وبيان ذلك تجدونه مبسوطا في مثل كتاب العلو للذهبي، ولابن قدامة، اجتماع الجيوش لابن القيم، والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فيها بسط الأدلة على علو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وهي من حيث الأنواع أنواع الأدلة تعود إلىٰ هٰذه

الأقسام أو الأنواع الخمسة، أما من حيث الأفراد فيُقسم ابن القيم –رحمه الله– أنها بالآلاف كما في نونيته حيث يقول:

يـــا قومنـــا والله إنـــا لقولنـــا ألفـــا تـــدل عليـــه بـــل ألفـــان

يعني أفراد الأدلة بالآلاف علىٰ علو الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–، أمّا من حيث أنواعها فترجـع إلىٰ هـٰذه الأقسام الخمسة.

وكذلك الأدلة السمعية علىٰ علو الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– لها أنواع تصل إلىٰ عشـرين نوعـا ذكرها ابن القيم في النونية، وذكرها في إعلام الموقعين، وذكرها أيضا ابن أبي العـز في شـرح العقيدة الطحاوية، وذكرها آخرون من أهل العلم.

فإذن هـٰذا باطل، إذا كان يريد بالجهة جهة السّفل، فالله –جل وعلا– منزّه عن ذلك؛ بل له العلو، والأدلّة علىٰ العلو كما أشار المؤلف في الكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

نأتي إلى الاحتمال الثاني، قال: (**والثاني باطل**) وهو جهة علو تحيط به لماذا؟ قال: (**أيضا لأن الله –تعالىٰ– أعظم من أن يحيط به شيءٌ من مخلوقاته.**) فهـٰذا أيضا باطل، والله –جل وعلا– لا يحيط به أحد من خلقه؛ بل هو –جل وعلا– المحيط بهم ولا يحيط به شيء من خلقه، فهو أجـل وأعظم وأكبر – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– من ذلك، وهو الكبير المتعال جل وعلا، وهو العليّ العظيم – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، فكيف يقال فيمن هـٰذا وصفه: إنّه في جهة علو تحيط به، تعالىٰ الله –جـل وعلا– وتنزّه أن يقال في حقه ذلك.

يبقىٰ الاحتمال الثالث، وهو في جهة علو لا تحيط به قال: (**والثالث حق؛ لأن الله تعالىٰ العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته**).

ولاحظ هـٰذا التفصيل الذي ذكره –رحمه الله– تبيّن به السبيل واتضح به الأمر، وأُمن فيـه من الخطأ والزّلل، ومثل هـٰذا الذي ذكره الشيخ هنا يقال في لفظة الحيّز والمكان.. وغيرها مـن الألفاظ المجملة، وهـٰذه الألفاظ في الغالب أنها من محدثات المتكلمين، وقد أحـدثوها لسـبب، الحيز، الجهة، المكان، الجسم، العرض، الجوهر، ألفاظ كثيرة أحدثها المتكلمون وقـد أحـدثوها لسبب لابد أن ندرك هـٰذا السبب حتىٰ نعرف المكر الكُبَّار الذي كان عليـه هـؤلاء لإبعـاد المسلمين من الإيمان بصفات الله التي أثبتها –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– لنفسه وأثبتها له رسوله –صَلَّىٰ اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وتأمّلوا معي لو أنّ أحدا من أفراد المسلمين وآحادهم أتىٰ إليه شخص وقال له هكذا ابتداءً: الله ليس له يد، وليس له سمع، وليس له بصر، وأخذ ينفي عن الله صفاته الثابتة في القرآن والثابة في السنة، كيف يكون موقف هٰذا المسلم الذي هو علىٰ فطرته السوية وبعقله السليم، كيف يكون موقفه من هٰذا القائل؛ يقبل؟ أبدًا، يستنكر ويردّ بشدّة؛ بل إنّ قائل هٰذه المقالة له ربما يُخشىٰ عليه أن يدميه هٰذا العامي بالضّرب والطّرد والتشنيع، لا يمكن، كيف تنفي عن الله شيء يقرأه في القرآن ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:٠١]، يقرأ في القرآن ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:٠٦]، ثم يأتي ويقول له: الله لا يسمع، ولا يغضب، ولا يحب، ولا يرضىٰ، كلام باطل واضح البطلان، ما يمكن أن يقبل.

إذن كيف يتوصل هؤلاء المتكلمون إلىٰ خلخلة الإيمان بهٰذه التي لا تقبل الجدل ولا تقبل النقاش! كيف يتوصلون إلىٰ خلخلة الإيمان بهٰذه العقائد الواضحة البينة في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فكّر هؤلاء المتكلمون ثم قدروا فجاؤوا بهٰذه الألفاظ، جاؤوا بهٰذه الألفاظ لتكون لهم متكأً من خلالها ينفون الصِّفات، لاحظ الطَّريق جاؤوا بهٰذه الألفاظ لتكون متكأ لهم.

وهٰذه الألفاظ قد لا يستوحش بعض الناس من نفيها إن بُني النفي علىٰ إيهام التّنزيه -تنزيه الله جلّ وعلا- فيقبل نفيها، ولاسيما أنّه لم يرها في القرآن ولا في السنة، فبدؤوا يقولون للناس: هل الله في جهة؟ هل الله في حيز؟ هل الله في مكان؟ لا يجوز في حقه الجهة، لا يجوز في حقه المكان، يستلزم كذا وكذا وكذا، حتىٰ تغلغلت هٰذه الألفاظ في نفوس الكثيرين وأصبحت عندهم من الثّوابت، أو شبيهة بالثوابت، تغلغلت هٰذه الألفاظ؛ لفظ (الجهة) ولفظ (المكان) ولفظ (الجسم) جاؤوا مثلا قالوا: هل الله جسم؟ لا يجوز أن يقال: الله جسم. العامي مثل هٰذه الكلمة، ولو قلنا: الله جسم لزم كذا ولزم كذا ممكن تمشي أو لا يمكن؟ ممكن تمشي لأنه عامي، وإذا أريد أن يتره الله وإذا بينوا له أن لفظ (الجسم) فيها كذا وكذا وأن الله متره عنها تمشي عنده؛ لكن لو جاءوا ابتداءً، وقالوا: ليس لله يد؛ لأنه يقول له: دعنا من باطلك وضلالك، ولا يمكن أن يقبل، فلمّا مَكّنوا لهٰذه الألفاظ بين الناس وبين الجهّال وبين عوام المسلمين، لما مكّنوا هٰذه الألفاظ، جعلوا هٰذه الألفاظ هي القاعدة التي يُبنىٰ عليها تعطيل الصفات، واقرؤوا في عامة

كتب المتكلّمين عمدة نفي الصفات نفي هـٰذه الألفاظ، تجد مثلا يقول قائلهم: ليس لله يد، ولا يجوز أن تثبت له اليد، لماذا؟ لأن لو أثبتنا اليد للزم من ذلك إثبات الجسمية، أصبحت كلمة (للزم من ذلك إثبات الجسمية) في مقام الدليل، مثل ما يقول أهل السنة: نثبت لله اليدين لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، هؤلاء تحولوا إلىٰ جعل هٰذه الألفاظ هي العمدة في رد الصفات.

أيضا في العلو مثلا يقولون: لا يثبت لله الاستواء لماذا؟ ما الدليل؟ قالوا: لأن إثبات الاستواء يستلم إثبات المكان لله. أصبحت ألفاظ: المكان، الجهة، الجسم، والحيز، هي الدليل لرد الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وهـٰذا اقرؤوه في عامة كتب هؤلاء، الدليل الذي ترد به الصفات هـٰذه الألفاظ المجملة، فيا سبحان الله! كيف أصبحت هـٰذه الألفاظ المجملة التي هي في ذاتها ألفاظ مجملة محتملة تحتمل حقا وباطلا كيف أصبحت هي القاعدة التي ترد إليها النصوص، ويُرد بها ما ثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصفات؟!

ولهـٰذا معرفة الموقف من هـٰذه الألفاظ غاية في الأهمية، فإذا كُنت تدرك تمام هـٰذه الألفاظ وشأنها وكيف وُجدت، والموقف الصحيح منها، إذا قال لك قائل هؤلاء، أو رأيت في كتاب من كتب هؤلاء يقول فيه: لو أثبتنا لله العلو للزم من إثباته المكان، تعرف من خلال ما منّ الله عليك به من معرفة لحال هـٰذه الألفاظ، سوء حال هؤلاء وسوء فعالهم بردّهم لصفات الله الثابتة بماذا؟ بألفاظ مجملة محتملة تحتمل حقا وباطلا.

وأعيد مرة ثانية وأؤكد أن عامّة نفي المتكلمين للصفات متكؤهم فيه علىٰ هـٰذه الألفاظ المجملة المحتملة.

وعلىٰ كلّ حال شأن هـٰذه الألفاظ عند أهل السّنة والجماعة معروف، وبيّن والموقف منه واضح، ألفاظ موقفة عند أهل السنة، والمعنىٰ ينظر فيه، فلو قال قائل: يلزم من إثبات العلو إثبات المكان، يقال له: إيش تقصد بالمكان؟ إذا قال: يلزم منه إثبات الجهة، إيش تقصد بالجهة؟ إذا كنت تقصد بالجهة علو الله علىٰ عرشه واستواؤه عليه علوّا يليق بجلاله وكماله وعظمته، فنحن نثبته لله كما أثبته لنفسه، وكما أثبته له رسوله –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل ما قال الإمام أحمد: "ولا يضرّنا شناعة المشنعين." أن تثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسَّلاَمُ- وإذا كان يقصد بالجهة معنىٰ باطلا، فالباطل مـــردود، ولا يضـــاف إلىٰ الله -تَبَـــارَكَ وَتَعَالَىٰ- أي باطل؛ بل حاشاه أن يضاف إليه شيء من ذلك.

وعلىٰ ضوء ما سبق إذا قال لك قائل: هل الله جسم؟ ما المناسب وأنت تعـــرف أن لفـــظ (الجسم) لم يرد لا نفيا ولا إثباتا، ما المناسب في الجواب علىٰ هـــٰذا السؤال؟ اللفظ ما به نوقفه، والمعنىٰ نفسره، نريد نعرف إيش يقصد صاحب اللفظ بالجسم؛ لأنّه احتمال تقول لـــه هكـــذا ابتداءً: لا، الله ليس بجسم. وهو يفهم أن الجسم ثبوت اليدين وثبوت الوجه وثبوت القدم، فيكون نفيك المجمل هـــٰذا والمطلق موهمًا لنفي حقٍّ، وكذلك لو أثبت علىٰ وجه الإطلاق يكون إثباتك موهما لإثبات باطل.

ولهـــٰذا لابد أن تقول لمن يسألك عن هـــٰذه الألفاظ أو يطرحها: ماذا تريد بها؟ إذا قال: الله جسم. تقول له: ماذا تريد بالجسم؟ أي شيء تريد بالجسم؟ هل تريد بالجسم أن لله يدين تليقان به، قدم تليق به، وجه يليق به، إن قال: نعم أنا أقصد هـــٰذا، نقول له: اليد والســـمع والقـــدم هـــٰذه ثابتة لله -جل وعلا- في كتابه ونحن نثبتها له كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها له رسوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، وإن كان يقصد بالجسم هـــٰذه الأجسام، أو يقصد بالجسم تشـــبيه الله بالمخلوقات، أو غير ذلك من المعاني، فالله -عز وجل- منزّه عن النقص والعيب، ومنزّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- عن مماثلة خلقه له، أو أن يكون هو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- مماثلا لخلقه.

أريد أن تنتبهوا لقول الشيخ الآتي (**ودليل هـــٰذه القاعدة**) الآن رجع الكلام إلىٰ دليل القاعدة التي بدأ بها وهي أن إثبات الصفات يكون من خلال الكتاب والسنة في النفي والإثبات، نثبت ما أثبت وننفي ما نفي، والألفاظ المجملة ننظر ما معناها، إن كانت تحتمل معنىٰ حقا فالحق ثابـــت، وتحتمل معنىٰ باطل فالباطل مردود، فدليل هـــٰذه القاعدة السمع والعقل.

[المتن]

ودليلُ هٰذه القاعدة: السمع والعقل:

فأما السمع فمنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَـــاهُ مُبَـــارَكٌ فَـــاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُـــوا لَعَلَّكُـــمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام:١٥٥]، وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٠٧]، وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظاً﴾[النساء:٨٠]، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩]، وقوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[المائدة:٤٩].

إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالّة علىٰ وُجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

[الشرح]

نعم، هـٰذه الآن أدلة ساقها الشيخ -رحمه الله- من القرآن الكريم في وجوب لزوم هـٰذه الطريقة في الاستدلال لصفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بأن تثبت ما ثبت في الكتاب والسنة وتنفي ما نفي في الكتاب والسنة، فذكر -رحمه الله- هـٰذه الأدلة:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فنحن مأمورون باتباع هـٰذا الكتاب المبارك، ولزوم ما جاء به، والوقوف عنده دون أن نتجاوزه.

وأيضا قول الله تعالىٰ: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ اتباع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- والإيمان به هـٰذا مما أمرنا الله -جل وعلا- به في القرآن، فنحن مأمورون باتّباع القرآن، ومأمورون باتباع سنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-، ولهـٰذا من خرج عن هـٰذه الطريقة، فأثبت ما لم يثبت في القرآن، أثبت لله من الصفات ما لم يثبت في القرآن، أو نفىٰ عنه ما لم ينف في القرآن، يقال له: أين اتباعك للقرآن الذي أمرك الله به؟ وأين اتباعك للرسول الكريم -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي أمرك الله به؟ الآية الأولىٰ فيها الأمر باتباع القرآن، والآية الثانية فيها الأمر باتباع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-، ومن لم يكن علىٰ هـٰذه الطريقة في إثبات الصفات لا يكون متبعا للقرآن ولا متبعا سنة الرسول الكريم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-، وإنما يكون في الحقيقة متبعا للجهم بن صفوان وغيره من أساطين الكلام وأعمدة الباطل.

قال: (وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٠٧) الآية واضحة في وجوب الأخذ عن الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

كذلك (قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[النساء:٨٠]) هـٰذه فيها طاعة الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن طاعته الإيمان بما جاء به -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتصديقه فيما يخبر به عن ربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وأيضا الآية الأخرىٰ هي (وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩]) وهٰذه فيها الرد إلىٰ الله والرد إلىٰ رسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والرد إلىٰ الله والرد إلىٰ كتابه، والرد إلىٰ الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- هو الرد إلىٰ سنته -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم الآية الأخيرة، وهي قوله تعالىٰ: (قوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[المائدة:٤٩]) وهٰذا رسولنا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- مأمور بأن يحكم بما أنزل الله، وهو رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

في الآية الأخرىٰ يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾[الأنبياء:٤٥]، فهو يحكم فيهم بما أنزل الله -جل وعلا-، فالذي يُحكِّم هو كلام الله وكلام رسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وليس الذي يحكّم عقول الناس القاصرة وأفهامهم الضعيفة أو أقيستهم الفاسدة.. أو غير ذلك من الأمور التي جعلت عند طوائف وطوائف عمدة يتكأ عليها في باب الصفات مع الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالّة علىٰ وُجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.**) يشير إلىٰ أن الأدلة في هٰذا كثيرة جدا وأن ما ذكره هو شيء منها بما يتناسب مع هٰذا المؤلف المختصر.

[المتن]

وكلُّ نصٍّ يدلُّ علىٰ وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دالٌّ علىٰ وجوب الإيمان بما جاء في السنة؛ لأنّ ممّا جاء في القرآن: الأمر باتّباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والرد إليه عند التنازُع، والردُّ إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلىٰ سنتّه بعد وفاته.

[الشرح]

هنا يبيّن الشيخ -رحمه الله- أن الرد إلىٰ سنة النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو من الرد إلىٰ القرآن؛ لأن طاعة الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ والقرآن نفسه فيه الأمر باتباع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- والرد إلىٰ سنته والأخذ عنه واتباعه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-، وقد مرّ معنا آيات تدل علىٰ هٰذا المعنىٰ، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ولهٰذا من

يقول: أنا لا آخذ إلا ما جاء في القرآن ولا آخذ مما جاءت به السنة، وهـٰذا الفكر تبناه من تبناه، وفي زماننا هـٰذا تبناه من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، لا يأخذون من السنة أي شيء لا ما في صحيح البخاري لا ما في صحيح مسلم ولا غيرها من دواوين السنة، كل هـٰذا مردود عندهم، يقولون: نحن لا نعمل إلا بالقرآن، ويصفون أنفسهم بالقرآنيين، وحقيقة الأمر أن هؤلاء غير متبعين للقرآن نفسه، وليسوا من أهل القرآن؛ لأن القرآن فيه الأمر في آيات كثيرة بالأخذ عن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- واتباعه، هل من لا يتبع الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا يقبل سنته:

هل هو مؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟

هل هو مؤمن بالآيات التي فيها الأمر بطاعة الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتي تزيد على ثلاثين آية؟

هل هو مؤمن بالآيات في تحكيمه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-؟

ثم كيف يكون العمل بالقرآن دون معرفة بالسنة التي هي تطبيق للقرآن، وعمل بما فيه، وبيان لمجمله، وتوضيح له، فلا يمكن أن يكون أحد من أهل القرآن إلا إذا كان من أهل السنة، لا يمكن إطلاقا أن يكون من أهل القرآن إلا إذا كان من أهل السنة، فإن لم يكن من أهل السنة فليس هو من أهل القرآن وإن ادّعىٰ لنفسه ذلك.

[المتن]

فأين الإيمان بالقرآن لِمَن استكبر عن اتّباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمانُ بالقرآن لِمَن لم يَرُدَّ النزاع إلىٰ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أَمر به القرآن لِمَن لم يقبل ما جاء في سنّته؟

ولقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩].

ومن المعلوم: أن كثيرًا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تِبْيان القرآن.

[الشرح]

وهـٰذا الكلام واضح في الرد علىٰ من يعرض عن السنة بحجة أنه إنما يعمل بالقرآن فقط، والكلام الذي ذكره الشيخ في غاية الوضوح، أين الإيمان بالقرآن لمن لا يتبع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-؟! أين الإيمان بالقرآن لمن لا يرد التراع إلىٰ الرسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-؟! أين الإيمان بالقرآن لمن لا يحكِّم سنته -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-؟ أين الإيمان بالرسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- الذي أمرنا به في القرآن إن لم يكن إيمان بما جاء به؟ فالله تعالىٰ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[النساء:٦٤]، فإذا كان لا يطيعه ولا يصدق أخباره ولا يؤمن بما جاء به أين إيمانه بالقرآن؛ بل أين السبيل إلىٰ القيام بالدين، وفعل الطّاعة لله -جلّ وعلا- بدون السنة، كيف عرفنا إقامة الصّلاة، فالقرآن فيه آيات كثيرة الأمر بإقامة الصلاة، كيف عرفنا إقامتها وواجباتها وشروطها وصفتها، إلا سنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-، كيف عُرفت أنصبة الزكاة وكيف عرفت الأنصبة وكيف عرفت الأموال الزكوية؟ وكيف عُرفت أوقات الزكاة؟ إلا بالسنة، فالسنة شارحة للقرآن ومبينة له ومفسرة، ولا غنىٰ لأحد عنها، ومن استغنىٰ عن السنة فهو مستغن عن الدين نفسه ومعرض عن الدِّين نفسه، ولا دين بغير اتباع سنة النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-، فالدين قرآن وسنة؛ كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ختم الشيخ -رحمه الله- بقول الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومن المعلوم أنّ في سنة النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- بيان وتفسير وإيضاح لهـٰذا القرآن العظيم الذي فيه تبيان لكل شيء.

[المتن]

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله -تعالىٰ- من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلىٰ ما جاء في الكتاب والسنة.

[الشرح]

وهـٰذا دليل عقلي ذكره الشيخ -رحمه الله- علىٰ وجوب التعويل علىٰ الكتاب والسنة في باب الصفات دون غيرهما، لا يعوّل في باب الصفات إلا علىٰ كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهنا يذكر الدليل العقلي علىٰ ذلك يقول: (**إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله**

–تعالىٰ– من أمور الغيب) ولاحظ قوله: **(من أمور الغيب)** ما غاب عنك كيف تهتدي إلىٰ تفاصيله، ولهـٰذا لولا الوحي الذي هو كلام الله وكلام رسوله –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الذي لا ينطق عن الهوىٰ، لو لا الوحي ما عرفنا هـٰذه التفاصيل، فهي إنما عرفت بالوحي، فكيف يعرف تفاصيل ما يجب في حق الله، وما يجوز وما يمتنع، كيف تعرف؟ كيف يعرف ما يثبت له علىٰ وجه التفصيل، وما ينفىٰ عنه علىٰ وجه التفصيل الذي رأيناه في القرآن والسنة، لولا مجيئه في كتاب الله جل وعلا، لو لا أنّنا قرأنا في القرآن الكريم ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**﴾[طه:٥]، وقرأنا أيضا في السنة ما يدل علىٰ ذلك، لولا هـٰذه النصوص أكان لنا سبيل إلىٰ المعرفة؟ هـٰذا أمر غيبي لم نعرفه إلا بالوحي، فهـٰذا هو السّبيل لمعرفة الأمور المغيّبة، فتفصيل ما يجب لله وما يمتنع وما يجوز هـٰذا أمر غيبي، ومن صفات المؤمنين؛ بل من أخصّها كما قال الله تعالىٰ: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[البقرة:٢-٣]، ومعنىٰ قوله: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ أي الذين يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به رسل الله، ولهـٰذا تجد في بعض كتب التفسير عند قوله تعالىٰ: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ أي يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، هـٰذه أمور غيب بالنسبة لنا نؤمن بها، لماذا؟ لوجود الخبر الصّادق الدّال عليها، ولا نتردّد في الإيمان بها.

فإذن العقل يدلّ علىٰ ما أشار إليه الشيخ علىٰ أنه تفصيل القول، ولاحظ أيضا قوله: (**تفصيل القول**) أما القول المجمل فيما يتعلّق بالله ليس المفصل، فهـٰذا يمكن أن يهتدي إليه العقل، القول المجمل مثل: علو الله، ومثل أنه: الخالق، والمدبر والمتصرف ونحو ذلك من الصّفات التي للعقل سبيل إلىٰ معرفتها، ولهـٰذا قبل قليل مرّ معنا أن العلو دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل، ولهـٰذا قال هنا: (**إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله –تعالىٰ– من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلىٰ ما جاء في الكتاب والسنة.**) هـٰذا دليل عقلي واضح علىٰ وجوب الرّجوع إلىٰ الكتاب والسنة.

۞۞۞۞

[المتن]

القاعدة الثانية

الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها علىٰ ظاهرها دون تحريف لاسيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها

ودليل ذلك: السمع، والعقل.

أما السمع: فقوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥]. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٠٢]. وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٠٣]. وهٰذا يدل علىٰ وجوب فهمه علىٰ ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله –تعالىٰ– اليهود علىٰ تحريفهم، وبيّن أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان. فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥]. وقال تعالىٰ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[النساء:٤٦]. الآية.

وأما العقل: فلأن المتكلم بهٰذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله علىٰ ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرّقت الأمة.

[الشرح]

قال الشيخ رحمه الله: (**القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها علىٰ ظاهرها دون تحريف**) هٰذه قاعدة مهمّة، وأصلٌ في باب طريقة الاستدلال بنصوص الصّفات، طريقة أهل السنة في الاستدلال بنصوص الصّفات، الطريقة إجراؤها علىٰ ظاهرها وإمرارها كما جاءت، هٰذه طريقة أهل السّنة، يجرون اللفظ علىٰ ظاهره، (**دون تحريف**) يعني دون محاولة لصرف هٰذا اللفظ عن ظاهره، وإنما نجريه علىٰ ظاهره، إذا قال الله جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، أو قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ما الطريقة؟ نجريها علىٰ ظاهرها نقول: ظاهر هٰذا النص إثبات اليدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونحن نجريه علىٰ ظاهره، ونؤمن به كما جاء ونثبته كما ورد، يُجرىٰ علىٰ ظاهره، ولا نحرف؛ لا نقول: اليد المراد بها

القدرة، أو المراد النعمة أو غير ذلك من التأويلات التي وجدت عند علماء الكلام الباطل، وإنما نجري النص علىٰ ظاهره ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:٦] ما ظاهره؟ ثبوت الغضب صفة لله، ما نقول مثل ما يقول علماء الكلام: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أراد أن ينتقم منهم، أو عاقبهم، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي عاقبهم، هـٰذا تحريف وصرف للّفظ عن ظاهره، والقاعدة أن يجرىٰ النص علىٰ ظاهره ويمر كما جاء. وسيذكر الشيخ –رحمه الله– الأدلة المقررة لهذه القاعدة. وأيضا سيأتي عند الشيخ –رحمه الله– قاعدة فيما يتعلق بظاهر النص ما هو ؛ لأن علماء الكلام الذي حرّفوا ظواهر نصوص الصفات عن مقصودها وصرفوها عن مرادها بنوا هـٰذا التحريف علىٰ فهم فاسد عندهم هُمْ، قام في نفوسهم الظاهرة فالمتكلم عندما يقرأ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، أو ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ما ظاهر النص عنده؟ التشبيه، ولهـٰذا يقولون بصريح العبارة وليس بخفيِّها:

وكل نص أوهم التشبيه .....

فعندهم النصوص ظاهرها التشبيه وتوهم التشبيه، فماذا يَفهم المتكلم من ظاهر قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]؟ ما الذي يظهر له منها؟ أي يظهر له منها ويتبادر إلىٰ ذهنه اليد التي يراها؛ بل يقولون لا نعقل يدا إلا هـٰذه التي نراها في الشاهد، هكذا يقولون في كتبهم، إذن الظاهر عنده التشبيه. وهل هو ظاهر النص في حقيقية الأمر؟ لا، ليس هو الظاهر، حاشا أن يكون ظاهر الكتاب والسنة الدلالة علىٰ الباطل، حاشاها، وإنما هـٰذا فهم فاسد قام في عقول هؤلاء، فلما كان الظاهر عند هؤلاء للنص هو التشبيه لجؤوا إلىٰ التحريف بزعمٍ أنهم يريدون تنزيه الله عن هـٰذا الظاهر الذي لا يليق به. وكل العملية التي حصلت عند هؤلاء كلها قائمة علىٰ فساد في فساد؛ فساد في فهم النص ثم فساد آخر في صرف النّص؛ يعني إبعاده عن دلالتها، وإلا لو سلموا هؤلاء من التشبيه ابتداء وأثبتوا لله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– الصّفات علىٰ ظاهرها اللائق بالله –جل وعلا– لسلموا أيضا من الانحرافات الأخرىٰ التي أصيبوا بها.

أما صاحب السنة لما يقرأ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، ماذا يظهر له هنا ما الظاهر هنا؟ هل يقرؤها يخطر بباله هـٰذه اليد؟ حاشا والله، كيف يخطر بالبال هـٰذه اليد والله يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾[الزمر:٦٧]، كيف نقرأ هـٰذه الآية ويخطر ببالنا يدنا هـٰذا؟ تعالىٰ الله تنزه وتقدس

عن ذلك اليد مضافة إليه تليق بجلاله؛ ولكن من لغة العرب نفهم الفرق بين يد ووجه وقدم، معناها واضح؛ لكن حقيقتها وكيفيتها الله أعلم بها، تليق بالله وتليق بجلاله وكماله وعظمته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فلاحظ الآن الكلام علىٰ الظاهر هٰذه مسألة مهمة في باب الصفات، وسيأتي أيضا قاعدة عند المصنف -أظنها ستأتي- هل ظاهر نصوص الصفات مرادا أو ليس بمراد؟ ربما أنتم الآن وقد سمعتم التوضيح السابق تستغربون من هٰذا السؤال: هل ظاهر نصوص الصفات مرادا أو ليس مرادا؟ تستغربون لأنكم ستقول: مراد بلا إشكال؛ لكنّكم تقولون: ظاهر النصوص مراد وأنتم تعنون الظاهر الذي يليق بالله تعالىٰ؛ لكن لو دخل عليك من الباب واحد، وقال: هل ظاهر نصوص الصفات مراد أو ليس مرادا؟ وقلت له: ظاهر نصوص الصفات مراد، ومشىٰ، إيش تتوقع أن يكون فهمه لجوابك، هل يفهم منه ما تريد، أو ما تفهم أنت من هٰذا الجواب، أم أنّ لفظة الظاهر بسبب الكلام الذي وُجد أصبح فيها شيء من الإجمال في عقول الناس لا من حيثها هي، ماذا تقولون؟ أصبح فيها إجمال؛ لأن بعضهم يظن أن الظاهر تشبيه، وبعضهم يظن الظاهر الذي يليق بالله.

ولهٰذا من باب تحقيق الفائدة وإزالة اللبس إذا قال لك قائل: هل الظاهر مرادا؟ المناسب إن كنت لا تعرف يعني حاله أن تسأله تقول: ماذا تريد بالظاهر، إذا قال: أنا لا يظهر لي من قول تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، إلا هٰذه اليد، إذا قال لك هٰذا، وهٰذا يقولونه، فهل هٰذا مراد أو ليس مرادا؟ هٰذا ليس مرادا، وليس هو ظاهر النص، وأيضا تبين أنه ليس ظاهر النص، تبينه له، هو سؤاله هل هو مراد أو ليس مرادا؟ تقول له: هٰذا الذي تقوله ليس مرادا وليس هو ظاهر النص.

وإذا قال: الظاهر لي: يد تليق بالله. تقول له: نعم، هو المراد، وهٰذا هو الظاهر. أظنه ستأتي في هٰذا قاعدة عند المصنف -رحمه الله- قلت لكم أن هؤلاء الذين ابتلوا بالكلام الذي يتبادر إلىٰ أذاهم ويقفز علىٰ عقولهم عندما يقرؤون آيات الصفات وأحاديث الصفات هو التشبيه، وهٰذا الأمر كما أنني قرأته في كتب هؤلاء وعلمت عنهم حالهم من كتبهم رأيته في واقع آحاد هؤلاء وأفرادهم.

أذكر مرة جمعني أحد المتكلمين مجلس وجرىٰ بحث في بعض المسائل الصفات وغيرها، فأذكر أنه قرأ قول الله تعالىٰ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح]، قال: قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، هٰذه جارحة، يده قدرته، هٰذا كلامه بالحرف وبالوصف يده قدرته، الآن لما قرأ هو ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما الذي خطر وقفز إلى ذهنه عند قراءة الآية هل يد الله اللائقة به أو يده هو القاصرة

الضعيفة؟ الذي قفز إلىٰ ذهنه هو يده ليست يد الله. إذن لماذا قال: يده قدرته؟ يعني ما سبب قوله: يده قدرته؟ سببه أنه يريد أن يتره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن مشابهة المخلوقات، يريد أن يطبق قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، وهو لم يفهم من ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ إلا هٰذه اليد، وهٰذا تشبيه -حسب فهمه- يتره الله عنه، ولهٰذا لجأ إلىٰ تتريه الله عن ذلك فحرف؛ قال: يده قدرته. وكل التأويلات التي عند المتكلمين، كله التأويل الذي عندهم مبني علىٰ هٰذا الجرف الهار الهاوي، كلّه قائم علىٰ توّهم التشبيه، كلّه قائم علىٰ توهم التشبيه، يتوهمون التشبيه ثم يتزهون الله علىٰ هٰذا الذي هم توهّموه.

فلما قال هكذا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يده قدرته، قلت له وهو يشير بأصبعه إلىٰ يده: لماذا تشبه الله؟ قال: لا أنا ما أشبه الله، قلت: لا أنت تشبه الله، أنت تقرأ الآية وتشير إلىٰ يدك، هٰذا عين التشبيه، إذا كان ليس هٰذا الذي تفعله تشبيها فلا نعرف تشبيهًا، هٰذا هو الذي نهىٰ الله عنه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]، تقرأ ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ وتشير إلىٰ يدك، هٰذا التشبيه لا نعرف تشبيها إلا هٰذا، إذا لم يكن هٰذا هو التشبيه فلا نعرف تشبيها، أنت الآن تشبه الله، لماذا لا تتق الله -جل وعلا- وتتزهه عن التشبيه؟ تقرأ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وتشير إلىٰ يدك، قلت: وإشارتك إلىٰ يدك وفهمك من الآية التشبيه هو الذي جعلك تقول: يده قدرته، وإلا لو فهمت الآية علىٰ المعنىٰ الذي يليق بالله لما تجرّأت علىٰ الخوض في كلامه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بهٰذه الطريقة. وإذا قلت هنا: يده قدرته. ماذا تقول في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]؟ وماذا تقول في قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]؟ قدرتي! ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قدرتاه مبسوطتان! هل يستقيم الكلام؟ قوله في الحديث: "**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وبيده الأخرىٰ القسط**"، بقدرته الأخرى؟ لا يستقيم الكلام.

فالشاهد أن فهم هٰذا الأمر، وإجراء نصوص الصفات علىٰ ظاهرها، هٰذا أصل مهم في غاية الأهمية، وأيضا فيه أمور عديدة تتعلق بالظاهر وقواعد مهمة أوضحها الشيخ ستأتي معنا بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها علىٰ ظاهرها دون تحريف**) التحريف عرفناه

وهو صرف النص عن ظاهره بدون دليل وبدون مستند، يصرف النص عن ظاهره، يقول الله: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ فيقولون: قدرة الله، ﴿وَغَضِبَ﴾[الفتح:٦] يقولون: أراد أن يعاقب أو عاقب، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُم﴾ أي أراد أن يثيبهم، أو يقولون: ﴿رَضِيَ اللهُ عنْهُم﴾ أي أثابهم، إذا كان من يقول أو من يتكلّم علىٰ هٰذه الآية ممن يثبت الإرادة لله يقولون: أراد أن يثيبهم، وإذا كان علىٰ طريقة المعتزلة لا يثبت الإرادة يقول: أثابهم، فمن يثبت الإرادة منهم فيؤوّل جميع الصفات الفعلية بالإرادة، ومن لا يثبت الإرادة يؤول الصفات الفعلية إما بالإنعام أو الانتقام، إمّا العقاب أو بالإثابة. قال: **(دون تحريف لاسيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها.)**

قال: **(ودليل ذلك: السّمع، والعقل.أما السّمع)** يعني الدليل السّمعي علىٰ إجراء نصوص الصفات علىٰ ظاهرها **(فقوله تعالىٰ:** ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥].) ﴿عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ إذا لم يكن المطلوب منها إجراء هٰذه النصوص علىٰ ظاهرها وإمرارها كما جاءت فأين الإبانة والوضوح في كلام الله -جل وعلا-، والله وصفه بأنه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، كذلك **(وقوله:** ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٠٢]. **وقوله:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٠٣]. **وهذا يدل علىٰ وجوب فهمه علىٰ ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.)** يعني أن يمنع من إجراء الظاهر دليل شرعي ليس دليلا عقليا، يعني يكون هناك قرينة في السياق أو في موضع آخر يدل علىٰ صرف هٰذا الظاهر، ولهٰذا سيأتي معنا مثل حديث "**جُعْتُ فلم تطعمني، مرضت فلم تعدني**"، جعت مرضت هٰذا الآن إلىٰ هٰذا الحد قد يفهم منه أحد إضافة هٰذين لله الجوع والمرض تنزه الله -عزّ وجل- عن ذلك؛ لكن الحديث فسر "**جَاعَ عبدي فلان فلم تطعمه، مرض عبدي فلان فلم تعده**" إذن فيه قرينة مفسرة في الحديث نفسه، وهٰذا الحديث سيأتي معنا كلام الشيخ عليه، وأنّ فيه فائدة عظيمة، وأن لو كان الظّاهر غير مراد في مثل ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:٦] مثل "**جُعت**" لجاء في النص ما يبين صرفه عن ظاهره؛ لأن الله -عز وجل- كلامه بيِّن، وكلام الرسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيّن، وإذا كان الشيء فيه شيء من الاشتباه يأتي البيان ما يترك علىٰ الاشتباه، ولهٰذا يلاحظ: جُعت، مرضت، غضب الله عليهم، فيه فرق أولا؟ جعت، مرضت، هٰذه ليست صفات لله، مع أن الله أضاف إلى نفسه قال: "جعت"، "مرضت" أضاف إلى

نفسه، ليست هي الصفات لله، لماذا نقول: ليست هي صفات لله، ولماذا نفرِّق بينها وبين ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ كلها مضافة إليه، كيف نفرق بين هـٰذا وهـٰذا؟ كيف نفرق بين هذين الظاهرين؟ هنا لما كان هـٰذا الظاهر لا يليق بالله جاء البيان "**جاع عبدي فلان فلم تطعمه، مرض عبدي فلان فلم تعده**".

ولهـٰذا نقول: لو كان الغضب وغيره من الصفات التي أضيفت لله لا تليق به، مقتضىٰ البيان أن يأتي التّوضيح، مثل ما جاء في قوله: "جعت" هـٰذه فائدة عزيزة ونفيسة انتبهوا لها، هـٰذه فائدة مهمة جدا؛ لأنه لو كانت هـٰذه الظواهر غير مرادة لكان مقتضىٰ البيان أن توضح، مثل ما وُضِّح قوله: جعت مرضت، هـٰذا وضح جاء توضيحه في السياق نفسه حتىٰ لا يتوهم متوهم ولا يغلط غالط ولا يظن ظان أن الجوع صفة لله أو المرض صفة لله، تنزّه الله -تعالىٰ وتقدّس عن ذلك-.

ثم فيما يتعلق بالتحريف قال: (**وقد ذمّ الله -تعالىٰ- اليهود علىٰ تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان. فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾**) يعني اليهود (﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥]. **وقال تعالىٰ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾**[النساء:٤٦].) اليهود هـٰذه طريقتهم كما ذكرها الله عنهم، طريقتهم التحريف.

ومن أمثلة تحريفهم ما جاء في النصوص من أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لهم أن يدخلوا الباب سُجّدا؛ يعني علىٰ هيئة السجود والخضوع والتخشُّع، وأن يقولوا: حطة؛ يعني يدخلون علىٰ هيئة ساجدين ويقولون: حطة يعني حط عنا خطايانا، فماذا فعلوا؟ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[البقرة:٥٩]، دخلوا الباب القهقرىٰ من خلف، رجعوا إلىٰ الوراء يدخلون مع الباب، وقالوا: حنطة، زادوا النون يعني حبة شعير، قيل لهم قولوا: حطة فزادوا نونا.

ومثل هؤلاء المحرفة، قال الله -عز وجل- في مواضع عديدة في القرآن هي سبعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] وفي واحد ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾[طه:٥]، وكلها بلفظ ﴿اسْتَوَىٰ﴾،

---

[1] وردت هذه الآية في القرآن في ستّ مواضع: الأعراف الآية (٥٤)، يونس الآية (٣)، الرعد الآية (٢)، الفرقان الآية (٥٩)، السجدة الآية (٤)، الحديد الآية (٤).

وأيضا ورودها في السنة كلها بلفظ (اسْتَوَىٰ) فزاد هؤلاء اللام، هؤلاء زادوا النون وأولئك زادوا اللام، ولذلك لام هؤلاء تشبه نون اليهود، الله يقول: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[الأعراف:١٦١]، ويقول أولئك: حنطة، والله يقول: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فيقول هؤلاء: استولىٰ علىٰ العرش. مع أنه لا يعرف في لغة العرب إطلاقا استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، ومن أدل ما يكون علىٰ ذلك أن هؤلاء جهدوا حتىٰ بلغ بهم الجهد مبلغا عظيما ليجدوا شاهدا من لغة العرب علىٰ أن استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، وذهبوا إلىٰ أساطين اللغة يسألونهم ما تعرفون استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ كلهم يقول: لا، بعد الجد الجهيد والضناء وجدوا بيتا وحدا يتيما يمدح فيه بشر بن الوليد أخو عبد الملك بن الوليد يمدحه الشاعر فيقول:

وقد استوىٰ بشر علىٰ العراق		من غير سيف ولا دم مهراق

فكأن القوم وجدوا ضالتهم، وطاروا بهٰذا البيت فرحا، وأثبتوه في كل كتب العقائد دليل علىٰ أن استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، أيش دليلكم علىٰ معنىٰ استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ؟ قالوا: قول الشاعر (قد استوىٰ بشر علىٰ العراق) كأنهم وجدوا الضالة المنشودة. من قبل هٰذا الشعر في القرون الأولىٰ؟ أنتم الآن وجدتم بيتا أسعفكم لمعرفة أن (استوىٰ) بمعنىٰ استولىٰ، طيب من قبل هٰذا الشاعر زمن الصحابة وبعدهم إلىٰ أن جاء هٰذا الشاعر؟ مساكين ما عندهم بيت يعرفون به العقيدة الصحيحة، أنتم وجدتم هٰذا البيت فعرفتم به العقيدة الصحيحة في المراد بـ(استوىٰ)، من قبلكم كيف يعرفون، اللغة ما فيها ولا يوجد ما يشهد لهٰذا؛ بل أئمة اللغة قالوا: إنه لا يكون (استولىٰ) في اللغة إلا عن مغالبة، وهٰذا لا يليق بالله، من الذي يغالب الله؟ استيلاء علىٰ الشيء يكون عن مغالبة، فلاحظ الفساد الذي جناه تحريف هؤلاء عليهم، الكلام علىٰ التحريف ومخاطره وأضراره ربما أنه يطول؛ لكن ننتقل إلىٰ كلام المصنف قال: (**وأما العقل**) الدليل العقلي (**فلأن المتكلم بهٰذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله علىٰ ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة**.) وتأمّل هٰذا الكلام فإنه جميل غاية، هٰذا دليل عقلي واضح.

الآن لو كانت الإحالة في فهم ظواهر نصوص الصفات علىٰ العقول المجردة والآراء، لو كانت الإحالة في هٰذا علىٰ العقول المجردة والآراء، كم يوجد من عقيدة في الأمة؟ لو كانت الإحالة علىٰ العقول والآراء كم عقيدة توجد في الأمة؟ هل توجد عقيدة واحدة تجتمع عليها أمة الإسلام؟ هٰذا يكفيكم دليل علىٰ بطلان منهج هؤلاء. المتكلمون عن بكرة أبيهم ليسوا علىٰ عقيدة واحدة؛ بل الواحد منهم لا يثبت علىٰ عقيدة واحدة، اليوم عقيدة وغدا عقيدة أخرىٰ، كما قال السلف من جعل

دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل، ولهـٰذا هم دائما يتنقلون، لا يثبتون علىٰ عقيدة، ولا يكـون الثبات مع الحق ولزومه ولزوم الكتاب والسنة، ولهـٰذا لو أحيل في فهم نصـوص الصـفات علـىٰ العقول المجرّدة والآراء ما أصبح للأمة عقيدة واحدة، تتعدّد الآراء وتكثر الطرائق وتكثر الخلافـات، ويكفي هـٰذا دليلا عقليا علىٰ بطلان التّحريف، ولو كان التّحريف صحيحا، لو كـان التحريـف صحيحا هل سيوجد نوع واحد من التحريف أو سيوجد أنواع؟ أنواع؛ لأن كلٌّ لـه طريقتـه في التحريف، وكلٌّ له تفكيره، لو كان التحريف صحيح لوجد عشرات التحريفات، ولهـٰذا قال بعض السلف: **لو كانت الأهواء هوىٰ واحدا لقيل: إنه الحق؛ لكنها أهواء**، رواه اللالكـائي في شـرح الاعتقاد، لو كانت الأهواء هوىٰ واحدا لقيل إنه الحق؛ لكن ماذا تصنع؟ أهواء عديدة.

يقول أحدهم قول الله تعالىٰ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**﴾[طه:٥]، للاستواء خمسة عشر معنىٰ، أيها المراد؟ خمسة عشر معنىٰ، يقول ابن القيم: لا والذي استوىٰ علىٰ العرش ليس للاستواء إلا معنىٰ واحد علا وارتفع؛ لكن هـٰذه كلها تحريفات، فلو فتح الباب للتحريفات لكان بابـا واسـعا ومهيع فج في الآراء والعقائد والنحل كما هو الحال عند علماء الكلام الباطل، وسلّم الله –عز وجل– أهل السنة بلزومهم لكتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعصمهم من هـٰذا الضلال بلزومهم للكتاب والسنة، ورحم الله الإمام مالك –رحمه الله– حيث يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجـا ومن تركها هلك.

ثبتنا الله وإياكم علىٰ السنة، وهدانا وإياكم إلى صراطا مستقيما.

[وكثيرا من الإخوة يتساءل متىٰ وكيف ينتهي الدّرس، وهل نكمـل الكتـاب أو لا، هـٰـذه تساؤلات أنا مثلكم لا أعرف لها جوابا؛ لكن تشاورت مع أخينا إبراهيم الجربوع حفظه الله وهـو المرتب للدورة جزاه الله خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناته، فقال: فيه مجال لو استمرينا الأسـبوع القادم علىٰ أنّ الترتيب الذي أنا وافقت عليه أنتهي الخميس القادم، فأنا عندي –إن شاء الله– سـعة من الوقت نستمر إلىٰ الاثنين أو الثلاثاء القادم –وإن شاء الله بإذنه تعالىٰ– ننهي الكتاب، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأيضا أعتذر إليكم، أنا ربما بعضكم أزعجته وده ينتهي، أو في بالـه ترتيبا معينا، بعضكم في باله سفر، فأنا أطلب العفو والسّماح منكم جميعا.

والشيء الآخر اليوم الآن هو تقديم البحث فمن كتب يسلم ومن لا يسلم الآن يحـتفظ ببحثـه

عنده، لكن الآن من عنده بحثه جاهز ممكن يسلمه لي في الخارج]، جزاكم الله خيرا، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد [١]

[١] انتهىٰ الشريط العاشر.